قصص الأنبياء

يوسف عليه السلام

في قصر العزيز

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

يوسف (عليه السلام) في قصر العزيز

كانَ عزيزُ مِصْرَ- وزير المال- مُتزوِّجًا مِن امرأةٍ ذات حسبٍ وجمالٍ، لمْ يُرْزَقْ مِنْهَا بِأَبْنَاءٍ، وَعِنْدَمَا رَأَى يُوسُفَ اشتراهُ وَذَهَبَ بِهِ إلى قَصْرِهِ، وَقَالَ لزَوْجَتِهِ: هَذَا غُلَامٌ جميلٌ، في عينيْهِ بَوَادِرِ الذَّكاءِ؛ أشْتَرَيْتُهُ، فَأَحْسِنِي إِلَيْهِ عَسَىَ أنْ ينفعَنَا فِي مَصَالِحِنَا، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا لَنَا يَنْفَعُنَا فِي كِبْرِنَا.

نظرتْ الزَّوجةُ، وَقَالَتْ: حقًّا مَا أَجْمَلَ هَذَا الطِّفْل، إنَّ وَجْهَهُ كَالبَدْرِ، سوفَ أُحسنُ إليْهِ وَأُكْرِمُهُ.

وَكَبُرَ يُوسُفُ، وَتَرَبَّى فِي قَصْرِ العزيزِ، ولمَّا رَأَى العزيز أمانَتَهُ، جَعَلَهُ صَاحِبَ الأمرِ والنهْي فِي القَصْرِ بَعْدَهُ وَبَعَدَ زَوْجَتِهِ.

وَهكذَا مكَّنَ اللهُ لِيُوسُفَ فِي الأرضِ وَأَكْرَمَهُ.

وَمرَّتْ الأيامُ وَالسَّنَوَاتُ؛

صَارَ يُوسُفُ رَجُلًا، وآتاه الله القوة والعلم، وأحبته زوجة العَزِيزِ لِمَا رأتْهُ مِنْهُ مِنْ جمالٍ بارعٍ، وأخلاقٍ عظيمةٍ، فَأَخَذَتْ تلمِّحُ لَهُ بِحُبِّهَا، وَهُوَ يُعْرِضُ عَنْهَا ؛ لشدَّةِ إِيمَانِهِ باللهِ.

وذاتَ يَوْم لبسَتْ زوجةُ العزيزِ أَفْضَلَ مَا عِنْدَهَا مِنْ الثِّيَابِ، وَأَغْلَقَتْ أَبْوَابَ القَصْرِ، وَاسْتَدْعَتْ يُوسُفَ دونَ أنْ يعلمَ بِسُوءِ نيَّتِها، وَقَالَتْ لَهُ: أنا تزيَّنتُ لكَ، ليس هناك أحدٌ غيري وغيرك، فهلُمَّ بنا.

أَدْرَكَ يُوسُفُ مَا تُرِيدُ امرأةُ العزيزِ؛ فَابْتَعَدَ عَنْهَا، نَحْوَ البابِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنِّي أخافُ اللهَ، كَيْفَ أعْصِيهِ؟ وَكَيْفَ أَخُونُ سَيِّدِي وَقَدْ أَكْرَمَنِي؟ لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ أَكُونُ ظَالِمًا لنفسي ، وعاصيًا للهِ ربِّي، واقتربتْ مِنْهُ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرِيدُ أَنْ تَجْذِبُهُ إِلَيْهَا، وَ أَمْسَكَتْ بِثَوْبِهِ مِنَ الخَلْفِ وَجَذَبَتْهُ فَمَزَّقَتْهُ.

وفجأة فُتِحَ البابُ ، ونظرتْ الزوجةُ فإذا بزَوْجِهَا، وَأَحَد أَقَارِبِهَا فخافتْ، بسرعةٍ ألقتْ التُّهمةَ عَلَى يُوسُفَ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا: ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ الشرَ إلاّ السِّجْنَ أوْ العذابَ الشديدَ؛ إنَّ يُوسُفَ أَرَادَ بِي السوءَ؟ فلمَّا سَمِعَ يُوسُفُ هَذَا الكَلامَ قَالَ: لا؛ بلْ هِيَّ الَّتِي طَلَبَتْ مِنِّي فَهَرَبْتُ مِنْهَا إلى البَابِ

نَظَرَ الوَزِيرُ حَائِرًا لا يَدْرِي أَيُّهُمَا الكَاذِب وَأَيُّهُمَا الصَّادِق، فَهَذَا خَادِمُهُ الأمين، وَهَذِهِ زَوْجَتُهُ لَمْ يَعْرِفْ عَنْهَا السُّوءَ مِنْ قبل، وَهُنَا تَكَلَّمَ قَرِيبُ الزوجةِ وَقَالَ: أنَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْصِلَ فِي هذهِ القَضِيَّةِ.

سَأَلَ الزَّوجُ: كَيْفَ؟

أَجَابَ: إِنْ كَانَ قَمِيصُ يُوسُفَ مَقْطُوعٌ مِنَ الأَمَامِ فَهُوَ الَّذِي أَرَادَهَا، فَدَافَعَتْ عَنْ نَفْسِهَا؛ فتكونَ هي الصَّادِقَةَ، أَمَّا إِنْ كَانَ القَمِيصُ

مَقْطُوعٌ مِنَ الخَلْفِ فهِيَّ التِي أرادَتْهُ، فَهَرَبَ مِنْهَا ؛ فلَحِقَتْهُ فَمَزَّقَتْ قمصيَهُ، فتكونُ هي كاذبةٌ، وَهُوَ الصَّادِق.

نَظَرَ الوزيرُ لِقَمِيصِ يُوسُف فرآه مقطوعًا مِنَ الخَلْفِ، فالتَفَتَ إلى زوجتِهِ قائلاً:أنتِ المُخْطِئَة، وَتَتَهِمِينَ يُوسُفَ بالباطلِ، ثمَّ نَظَرَ ليُوسُفَ، وَقَالَ لَهُ: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا } [يوسف: ٢٩] لا تتحدَّثَ بِهَذَا الموضوع.

وَالْتَفَتَ لِزَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا: استغفري وتوبي مِن ذنبِكِ؛ لأنَّك مذنبة.

شَاعَ أَمْرُ امرأةِ العزيزِ فِي المَدِينَةِ، وتحدَّثتْ فِيهِ نِسَاءُ الوزراءِ والكُبَرَاءِ،

وَقُلْنَّ: كَيْفَ تَفْعَلُ امرأةُ العزيزِ ذَلِكَ؟! إنَّهَا لَفِي ضَلالٍ عَظِيم.

فلمَّا سَمِعَتْ زوجةُ العَزيزِ ذَلِكَ أَرَادَتْ أَنْ تُظهرَ لهُنَّ عُذْرَهَا، فأعدَّتْ لهُنَّ مَائِدَةً فخْمةً، ثمَّ أَرْسَلَتْ إليهنَّ وَدَعَتْهُنَّ لِتَنَاوُلِ الطَّعامِ عِنْدَهَا.

فجاءتْ النِّسْوةُ وَجلَسْنَ يَأْكُلْنَ،
وأعطتْ امرأةُ العزيزِ كلَّ واحدةٍ
منهنَّ سِكِّينًا لتَقْطيعِ الفَاكِهَةِ، ثمَّ
اسْتَدْعَتْ يُوسُفَ فَخَرَجَ عَلَيْهِنَّ،
فلمَّا رأيْنَهُ انبهرنَّ بِجَمَالِهِ، وقطَّعْنَ

أيديهنَّ بدلاً مِن الفاكهةِ دُونَ أَنْ يَشْعُرْنَ بألم، وقلن: { حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } [يوسف : ٣١].

نَظَرَتْ زوجةُ العزيزِ إليهنَّ، وَقَالَتْ: هَذَا هُوَ الرَّجُل الذي بسببَهَ تَتَكَلَّمْنَّ عَنِّي، لَقَدْ قَطَّعْتُنَّ أيديكنَ عِنْدَ رؤيتِهِ وَلَمْ تَشْعُرْنَ بالألم ولمْ تَرَوْنَهُ إلا مرَّةً واحدة، فَكَيْفَ وَهُوَ أَمَامِي كلَّ لحظةٍ؟

أعْتَرِفُ بأنِّي قَدْ طَلَبْتُهُ، وَحَاوَلْتُ إِغْرَاءَهُ، لكنَّهُ رَفَضَ وَامْتَنَعَ وإنْ لمْ يُجِبْنِي مستقبلًا سَيَدْخُلَنَّ السجن.

حرَّضتْ النِّسوةُ يُوسُفَ على السَّمْعِ والطَّاعَةِ،

اسْتَعَاذَ يُوسُفُ باللهِ، وَابْتَعَدَ عَنْهُنَّ، وَهُوَ يَدْعُو: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف : ٣٣]

ودَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ حَتَّى يكُفَّ الناسُ عَنِ الكلامِ.

وَدَخَل مَعَهُ السِّجنَ فَتيَان، أَحَدُهُمَا ساقِ المَلِك، وَالآخرُ خَبَّازُهُ الذي يخبزُ له عيْشه، فَلَمَّا شَاهَدا يُوسُفَ أعجبهما كثرةَ عبادتِهِ، وأخلاقَهُ الحَسَنَة، وفي يوم رَأَى كُلٍ مِنْهُمَا رؤيةً فِي مَنَامِهِ، فَذَهَبَا إلى يُوسُفَ، وقَصَّا عليْهِ مَا رَأَياهُ.

قَالَ السَّاقِي: رأيتُ كأنِّي آخذُ عَنَاقِيدَ العنبِ فأعصُرُهَا خمرًا وَأُسْقِي الملكَ.

وَقَالَ الخبَّازُ: وَأَنَا رَأَيْتُ كأنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي سلَّةً بها خبزٌ، وبعضُ الطيورِ الجارحةِ تأكلُ مِنْ هَذَا الخُبْزِ. فأخبرنَا بتَفْسِيرِ هَاتيْن الرُّؤْيَتَيْن، إنَّا نراكَ مِنَ المُحْسِنين.

تحدَّثَ يُوسُفُ:إنِّي أخبركُمَا بمَا يأتيكمَا مِنْ طَعَامٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ إِلَيْكُمَا ، وليسَ ذَلِكَ عِلمًا مِنِّي، بلْ مِمَّا عَلَمَنِي رَبِّي؛ لأني مؤمنٌ بِهِ، مُتَّبعٌ ديانَةَ آبائي إبراهيمَ

وإسحاقَ ويعقوبَ، وليسَ لنَا أنْ نُشْرِكَ باللهِ.

وَأَكْمَلَ يُوسُفُ: يَا صَاحِبَيْ السِّجنِ، أمَّا أحدُكُمَا فسيخرجُ مِنَ السِّجنِ، وَيَعُودُ ليَسْقِي الملكَ كَمَا كَانَ، وَأمَّا الآخرُ فَسَيُعْدَمُ ويُصْلَبُ، وَتَأكُلُ الطيرُ مِنْ رَأْسِهِ.

وَقَالَ يُوسُفُ للذِي ظنَّ أنَّه سَيَنجو عنه إذَا خرجت مِنْ السِّجنِ فأخبر الملك بأنَّ هناك سَجِينٌ مَظْلُومٌ اسْمُهُ يُوسُف.

ومرَّت سبْعُ سنواتٍ؛ وَرَأى ملكُ مِصْرَ- فِي مَنَامِهِ- رُؤيةً عجيبةً، رأى كأنَّه على حافةِ النيلِ، وَقَدْ خَرَجَتْ سبعُ بقراتٍ سمانٍ مِنَ النَّهْرِ، وَبَعْدَهَا خَرجَتْ سبعُ بَقَراتٍ هزالٍ ضِعافٍ أكلتْ السبعَ السِّمَان، ورأى- أيضًا- سبعَ سَنَابلٍ خَضْرَاءٍ خَرَجَتْ مِنْ ساقٍ واحدةٍ، وخلفَهَا سبعَ سنابلٍ يابساتٍ، فَأَكَلَتْ السَّنَابلَ الخضراءَ.

فقامَ الملكُ مِنْ نَوْمِهِ مَفْزُوعًا، واستدعى جميعَ الكهنة والمنجِّمين، وقصَّ عليْهِمْ مَا رَآهُ، وَطَلَبَ تفسيرَ هَذَا

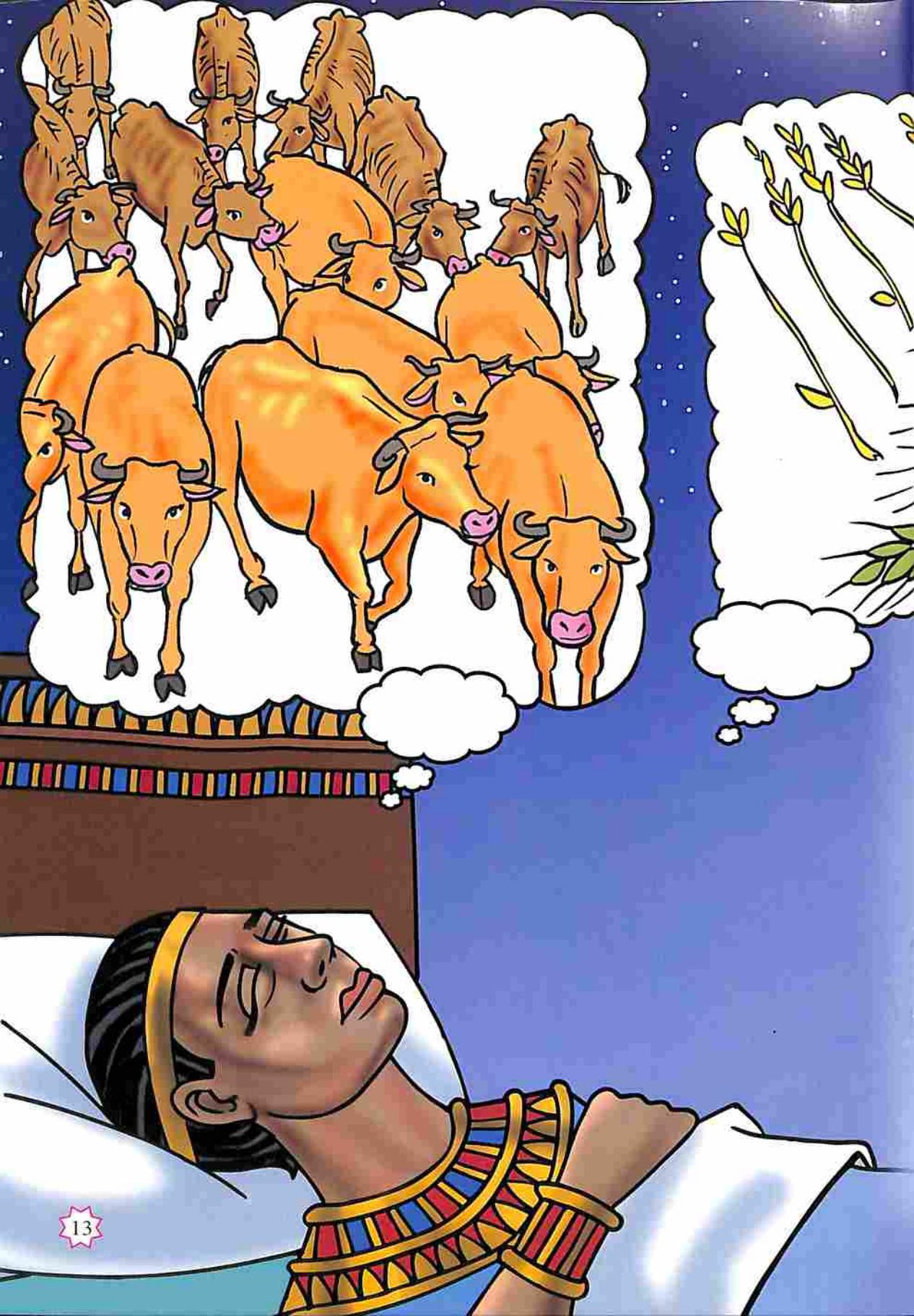

الحُلمِ. قالوا : هذه أضغاثُ أحلامٍ لا تفسيرَ لَهَا.

ساقي الملك تذكَّرَ يُوسُفَ وَمَا كان قَدْ أوْصاهُ بِهِ ، فَقَالَ للملكِ: أيُّهَا الملك، هناكَ شخصٌ فِي السّجْنِ يستطيعُ أنْ يفسِّرَ لكَ هَذِهِ الرؤيةِ، فأرسلني إليه.

وَذَهَبَ السَاقِي لِيُوسُفَ، وأخبرَهُ بِمَا رَآهُ الملكُ، وطلبَ مِنْهُ تفسيرَ الرؤيةِ.

أَجَابَهُ يُوسُفُ: سَوْفَ يَأتِي عَلَى مِصْرَ سبعُ سنواتٍ تَجُودُ فِيهَا الأرضُ بالزروعِ والثِّمَارِ، وَبَعْدَهَا سَتَأْتِي سبعُ سَنَوَاتِ قحطٍ وَفَقْرٍ لا زرعَ فِيهَا، ثُمَّ يَأْتِي عَامٌ فِيهِ الغيثُ وَالخصبُ وَالنَّمَاءُ، فيجبُ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ أنْ يدَّخرُوا من سنواتِ الخصبِ لِسنواتِ الفقرِ، وَلا يَأْكُلُونَ إلاّ مَا يَسِدُّ الجوعَ، وَالقمحُ الذي يدَّخرونه يجعلونَهُ فِي سَنَابِلِهِ حَتَّى لا يُفْسِدُهُ السُّوسُ.

فلمَّا عادَ الساقِي إلى الملكِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ أَعْجَبَهُ هَذَا التَّفْسِير، وأرسلَ رَجُلًا إلى يُوسُفَ، وَلَكِن يُوسُفُ رَفَضَ أنْ يَخْرُجَ مِنَ السّجنِ حَتَى تَظْهَرُ بَرَاءَتُهُ.

وحَقَقَ الملكُ بِنَفْسِهِ فِي الأمرِ، وَعَلِمَ أَنَّ يُوسُفَ بَريء.

وَخَرَجَ يُوسُفُ مِنَ السّجنِ، وَطَلَبَ مِنَ المَلِكِ

أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ ؛ لأنَّه أمينٌ لهَا، وعليمٌ بكيفيةِ التّصرّف فِي سَنَوَاتِ الرَّخَاءِ، وَسَنَوَاتِ الشِّدّة ، فوافَقَ الملك. وهكذا مكَّن اللهُ ليُوسُفَ فِي الأرضِ.

عنْ عبد اللهِ بن مسعود قَالَ: (أفرس الناسِ ثلاثة: العزيزُ حِينَ قَالَ لامرأتِهِ أكرمي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نتخذه ولدًا، والتي قَالتْ: يا أبتِ اسْتَأْجِرْهُ إن خيرَ مَنِ استأجرتَ القويُّ الأمينُ، وَأبو بكرٍ حين تفرسَ فِي عُمَرٍ- رضي اللهُ عنْهُمَا) المستدرك على الصحيحين للحاكم.

المركز العربى الحديث
103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com